﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: 13]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

مواساة النّبيّ ﷺ في مَواجهةِ الافتراءاتِ، بأنّ القرآنَ دَليل على صدقِهِ

لمّا كانَ القومُ قد طلبوا تركَ بعضِ ما يُوحَى إلى الرّسولِ ﷺ لدعواهم أنَّه مُفترًى، وكانوا قد طَلبوا منه المُعجزَ بإنزالِ الكنزِ أو مَجيءِ مَلَكٍ جاءَت هذه الآيةُ، فكانَ كأنَّه قيلَ ما يطلبونَه منكَ، إنَّما هو على وجهِ التَّعنُّتِ، وأنَّ المُعجزَ هو ما يُوحَى إليكَ، وهو القرآنُ، ثمَّ أقامَ الدّليلَ على إعجازِهِ.

وأيضا لمّا طَلَبَ المشركونَ مِن رسولِ اللّه ﷺ المُعجزَ، قالَ: مُعجزي هَذا القُرآنُ، ولمّا حَصَلَ المُعجزُ الواحدُ كانَ طَلَبُ الزّيادَةِ بإنزالِ الكنزِ أو مَجيءِ المَلكِ بَغيًا وجَهلًا، ثُمَّ أقامَ الحُجّةَ على كَونِهُ مُعجزًا بأنْ تَحدّاهُم بالمُعارَضةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾: الفَرْيُ: قَطعُ الجلدِ لِلخَرزِ والإصلاحِ، وَمِنَ البابِ: فُلانٌ يَفري الفَريَّ، إذا كانَ يَأتي بالعَجَبِ، كأنَّهُ يَقطَعُ الشَّيءَ قَطعًا عَجَبًا، وأفرَيتُ الثّوبَ، إذا أنتَ قَطَعتَهُ للإفسادِ، ويُستعمَلُ الإفراءُ في الإفسادِ أكثرَ، وكذلكَ استُعمِلَ في القرآنِ كناية عن الكذبِ والشّركِ والظّلمِ، وفَرَى الكذبَ وافتراه: اختلقهُ؛ أي: ابتكرَهُ مِن عندِ نفسِهِ وهيّأهُ، وسُمّيَ الكذبُ: فريةً وافتراءً؛ لأنَّ المفتريَ يقتطعُ الكلامَ اقتِطاعًا مِن تلقاءِ نفسِهِ، ويقطعُ، ويفسدُ في عِرْضِ غيرِهِ، ولا يكونُ الافتراءُ إلّا فيما عَظمَ أمرُهُ، وكلُّ ما في القرآنِ مِن لفظِ الافتراءِ فهو بمعنى اختلاقِ ما لا حقيقةَ له[2].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/324.

(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (فري)، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (فرى)، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (فرئ).

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إقامةُ الحجّةِ على إعجازِ القرآنِ، وأنّه مُنزَّلٌ مِنَ اللهِ لا ريبَ فيه

لا يضِقْ صدرُكَ - يا محمد ﷺ - ممَّا يرميكَ به هؤلاءِ المشركونَ، فإنَّهُم لم يكتفوا بما طلبوهُ منكَ، بل تجاوزوا ذلكَ إلى ما هو أشدُّ جُرمًا، وهو قولُهُم: إنَّك افتريتَ القرآنَ الكريمَ، واخترعتَهُ مِن عندِ نفسِكَ، قلْ لَهُم: إنْ كانَ الأمرُ كما تزعمونَ فأتوا بعشرِ سورٍ مثل القرآنِ مُفترياتٍ، واستعينوا بمَنِ استطعتُم مِنْ دونِ اللّه إلى المعاونةِ على مُعارضةِ القرآنِ، إنْ كُنتُم صادِقينَ في قولِكُم: افتراهُ[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ ﴿أَمْ﴾ المنقطعة:

القولُ بافتراءِ القرآنِ أشنعُ مِن عدمِ الاعتدادِ بهِ، وأدلُّ على عنادِ أهلِ الكفرِ

الظّاهرُ أنَّ ﴿أَمْ﴾ هنا مُنقطِعةٌ، ولمّا كانَت ﴿أَمْ﴾ المنقطعةُ مُضمّنةً معنى (بَلْ) وهمزةِ الاستفهامِ، وهي للإضرابِ الانتقاليِّ، وكانَت همزةُ الاستفهامِ فيها للإنكارِ المُضمَّنِ معنى النّهي، والمفيدِ غرضَ التّوبيخِ والاستبعادِ والتّعجيبِ، أفادَتِ انتقالَ الكلامِ بها مِن غرضِ التّوبيخِ والتّعجيبِ مِن اقتراحِهُمُ المعجزاتِ إلى غرضٍ آخرَ هو الإنكارُ على قولِهِم: إنَّ الرَّسولَ قدِ افترى القرآنَ، وتوبيخُهُم عليهِ، والتّعجيبُ مِن قولِهِم واستبعادُهُ، ولمّا كانَت ﴿أَمْ﴾ لِلتَّوسُّطِ في الكلامِ دلَّ على أنَّ هذا التّوبيخَ والتَّعجيبَ له علاقةٌ بما قبلَهُ؛ لأنّهُما في موضوعٍ واحدٍ، فهو استفهامٌ مُعترِضٌ في وسطِ الكلامِ، ولهذا قالَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، ولم يقُلْ: (أيقولون افتراه)؛ ولمّا كانَت ﴿أَمْ﴾ للإضرابِ الانتقاليِّ لِما هو أهمُّ أفادَتِ الانتقالَ لِما هو أشنعُ مِن عدمِ اعتدادِهِم بما يُوحَى إلى الرّسولِ ﷺ، وأقبحُ مِن اقتراحِهُمُ المعجزاتِ وهو قولُهُم: إنَّه مُفترًى، وليسَ مِن عندِ اللّه[2]، ويُحتمَلُ أن تكونَ ﴿أَمْ﴾

(1) ابن جرير، جامع البيان: 15/259، والواحديّ، التّفسير الوسيط: 2/567، وطنطاوي، التّفسير الوسيط: 7/174، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 223.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/383، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/155، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/130، والرّضيّ، شرح كافية ابن الحاجب: 4/416، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/37.

مُتَّصلةً لِتفيدَ عطفَ ما بعدَها على ما قبلَها في المعنى؛ لِيكونَ العطفُ على وجهِ المعادلةِ والمقايَسةِ، والتّقديرُ: أيكتفونَ بما أوحينا إليكَ مِنَ القرآنِ أو أيقرُّونَ بما أُوحِي إليكَ أنّهُ مِن عندِ اللّه أم يقولونَ افتراهُ؛ لِيفيدَ تمامَ إقامةِ الحُجّةِ عن طريقِ النّظرِ والاستدلالِ[1].

دلالةُ الفعلِ المضارعِ ﴿يَقُولُونَ﴾:

أفادَ التّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ استمرارَ قولِهم هذا وتجدُّدَهُ وقتًا فوقتًا، وفيه إشعارٌ بقولهم بأنَّ القرآنَ مُفترًى سيقولُهُ ناسٌ آخرونَ؛ لاقترانِ الكلامِ بالدّليلِ على إبطالِ هذه الفريةِ.

تجدُّدُ القولِ بافتراءِ القرآنِ مع ثباتِ الدّليلِ على بطلانِ هذا الزَّعمِ

نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾:

عُبِّرَ بالافتراءِ دونَ الكذبِ أو الاختلاقِ مثلًا؛ للإشعارِ بتعنُّتِهم ومُكابرتِهم في أنْ نسبوا إلى رسولِ اللّه ﷺ اختلاقَ القرآنِ وتهيئتَهُ مِن عندِهِ، فالضَّميرُ المُستَترُ في ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾ عائدٌ إلى النّبيِّ ﷺ المَذكورِ في قولِهِ: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾ [هود: 12]، ولمّا كانَ الافتراءُ لا يكونُ إلّا في أمرٍ مُنكَرٍ عظيمٍ، كانَ كأنَّهُم قصدوا تعظيمَ اللّه تعالى مِن أن يُنسبَ القرآنُ إليه، وكأنَّهم كانوا أكثرَ حرصًا على حدودِ اللّه مِن رسولِهِ ﷺ، ففيه تعجيبٌ مِن حالِهم وإنكارٌ على جهلِهم.

القولُ بافتراءِ القرآنِ مُكابرةٌ وجَهلٌ بالقرآنِ وبالرّسولِ ﷺ

دلالةُ الضّميرِ البارزِ في: ﴿ٱفۡتَرَىٰهُۖ﴾:

لمّا كانَ الضّميرُ عائدًا على الاسمِ الموصولِ ﴿مَا﴾ في قولِهِ: ﴿بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ﴾، دلَّ على أنَّهم نسبوا القرآنَ إلى الافتراءِ مع علمِهم في قرارةِ أنفسِهم أنَّه قد أُوحِي إليكَ بهِ، لِمَا تفيدُهُ جملةُ الصّلةِ مِن كونِها معلومةَ الانتسابِ إلى مُشارٍ إليهِ عندَ السّامعينَ[2].

علمُ الكافرينَ في قرارةِ أنفسِهم بحقّيّةِ القرآنِ

(1) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/295، وابن عادل، اللّباب: 10/333، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/37.

(2) السّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 181.

سرُّ الفصلِ في الجملةِ المُصدَّرةِ بـ: ﴿قُلْ﴾:

لا بُـدَّ في إثباتِ الدّينِ مِن تقريرِ الدّلائِلِ بالمحاورةِ والحجاجِ

قولُهُ: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، نجدُ أنّه لمّا قالَ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ لم يُعرضْ عن قولِهم، بل أرخى لهم العنانَ، وأجابَهُم بالقولِ المُضمَّنِ بالحجّةِ، فهو جوابٌ لِكلامِهم، فلذلكَ فُصِلَتْ على ما هوَ مُستَعمَلٌ في المُحاوَرَةِ؛ وفيه إشعارٌ بأنَّه لا بُدَّ في إثباتِ الدّينِ مِن تَقريرِ الدَّلائِلِ والبَراهينِ بالمحاورةِ والحجاجِ؛ وذلكَ لأنَّهُ تعالى أورَدَ في إثباتِ نُبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ هذا الدَّليلَ وهذِهِ الحُجَّةَ، ولولا أنَّ الدّينَ لا يَتِمُّ إلّا بالدّليلِ لم يكُنْ في ذكرِهِ فائدةٌ[1].

نكتةُ مجيءِ لفظِ ﴿قُلْ﴾:

تسليةُ الرّسولِ ﷺ وتكريمُهُ وتشريفُهُ بالإجابةِ

لمّا أخبرَ اللّه تعالى عنِ استهزاءِ المشركينَ وتعنُّتِهم لرسولِ اللّه ﷺ، وذكرَ قولَهُ: ﴿وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود: 12]، أمرَ حبيبَهُ ﷺ أنْ يجيبَهُم تكريمًا له وتشريفًا وتسليةً، كما أنَّ فيه تقريرًا لِما تقدَّمَ مِن أنّهُ يُبلِّغُ ما يُوحَى إليهِ، فيكونُ التّعبيرُ مِن تمامِ الحجّةِ على أنَّ القرآنَ مِن عندِ اللّه، وأنَّ رسولَهُ ﷺ مُبلِّغٌ عَنِ اللّه تعالى.

دلالةُ الفاءِ في: ﴿فَأْتُواْ﴾:

إذا كانَ الافتِراءُ يأتي بهذا القرآنِ، فَما لِلكافرينَ لا يفترونَ مِثلَهُ!

أفادتِ الفاءُ تعلُّقَها بشرطٍ مُقدَّرٍ لِوقوعِها في الجوابِ، والتّقديرُ: قُلْ إنْ كانَ الأمرُ كما تزعمونَ أو إنْ صحَّ أنّي اختلقتُهُ مِن عندِ نفسي، فأتوا أنتُم بعَشرِ سوَرٍ مِثلِهِ مُفتَرَياتٍ، فتفيدُ الفاءُ معنى التّعقيبِ والتّرتيبِ، فنكتةُ مجيءِ الفاءِ الإشعارُ بوجودِ الشّرطِ والجزاءِ؛ لإظهارِ إقامةِ الحجَّةِ عليهم، ولمّا كانَ الشّرطُ على معنى السّببِ لِلجزاءِ أفادَ معنى المُلازَمَةِ بَينهما؛ أي: إذا كانَ الافتراءُ يأتي بهذا القرآنِ، فما لَكُم لا تَفتَرونَ أنتُم مِثلَهُ، فَتَنهَضَ حُجَّتُكُم، فإنْ عَجزتُم دلَّ على بطلانِ الشّرطِ المُقدَّرِ[2].

---

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/325، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/19.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/347، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/191، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/39، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/21.

بلاغةُ الأمرِ في: ﴿فَأْتُواْ﴾:

عجزُ المُشركينَ عن الإتيانِ بمثلِ القرآنِ عجزٌ لغيرِهم بطريقِ الأَولى

لمّا كانَ قولُ المشركينَ، بأنَّ القرآنَ مُفترىً من عندِ رسولِ اللّه ﷺ بمثابةِ نفي إعجازِه، كانَ قولُهُم كَمَنِ ادّعَى أنَّ في وسعِهم فعلَهُ والإتيانَ بمثلِه؛ لأنَّه على وفقِ دَعواهُم هو من كلامِ البشرِ، فلمّا ادّعوا أمرًا ليسَ في وسعِهم كانَ الأمرُ في قولِه: ﴿فَأْتُواْ﴾ على معنى امتناعِ أن يكونَ المطلوبُ بالأمرِ الإتيانَ بعشرِ سورٍ مثلِه لعلمِ اللّه بامتناعِه منهُم، فتوجَّهَ الأمرُ على مطلوبٍ ممكنِ الحصولِ، وهو بيانُ عجزِهم؛ ليكونَ الأمرُ على طريقِ المجازِ، وتولَّدَ منه التَّعجيزُ؛ أي: إظهارُ عجزِهم، وإفحامُهُم عنِ الإتيانِ بعشرِ سورٍ مُفترياتٍ، وفي تعجيزِهم بالأمرِ زيادةُ بيانٍ وتثبيتٍ لإعجازِ القرآنِ بطريقِ التّحدّي، فإنَّ كلَّ ظهيرٍ من سواهُم دونَهُم في البلاغةِ، فعجزُهُم عَجزٌ لِغيرِهم بطريقِ الأولى[1].

دلالةُ واو الجمعِ في: ﴿فَأْتُواْ﴾:

الإيذانُ بقوّةِ حُجّةِ القرآنِ في أنّه مُعجِزٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ

لمّا جاءَ الأمرُ بصيغةِ الجمعِ دلَّ على أنَّه مُوجَّهٌ إلى جميعِ المُخاطَبينَ الّذينَ قالوا بالافتراءِ، فالخطابُ لا يختصُّ بمعيَّنين وقتَ نزولِ القرآنِ؛ ليتناولَ كلَّ مَن يقولُ بافتراءِ القرآنِ، ويدخل فيه المشركون وقتَ النّزولِ دخولًا أوَّليًّا، ونكتةُ التّعبيرِ بصيغةِ الخطابِ الإيذانُ بقوّةِ حُجّةِ القرآنِ في أنّهُ من عندِ اللّه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

نكتةُ التّعبيرِ بـ ﴿فَأْتُواْ﴾:

التّحدّي بالإتيانِ بعشرِ سورٍ، سواءٌ كانَ بالاسترفادِ أم بالاختراعِ

لم يقُلْ نحو: (فليقولوا عشرَ سورٍ مثلِه مُفترياتٍ)، وعُبِّرَ بالأمرِ بالإتيانِ؛ لأنَّه لمّا كانَ الإتيانُ بالشَّيءِ بمعنى جلبِه وإحضارِه، سواءٌ كانَ بالاسترفادِ منَ الغيرِ أم بالاختراعِ منَ الجالبِ، أفادَ التَّوسعةَ عليهِم في التَّحدِّي؛ أي: سواءٌ أكانَ الإتيانُ من قِبَلِكُم أم من جهةٍ أخرى تقومُ مقامَكُم؛ ليُظهرَ عجزَهُم من جميعِ الجهاتِ[2].

(1) النّسفيّ، التّيسير في التّفسير: 8/171، والسّكّاكيّ، مفتاح العلوم، ص: 304، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/249، والسّبكيّ، عروس الأفراح: 1/464.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/19.

سببُ إيثارِ ذكرِ العددِ في: ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ﴾:

لا فـــرق فـي الـتـحـدّي بـأيّ سُـوَرٍ عشرة من القرآن كان

لمّا كانَ القرآنُ على تنوُّعِ سورِهِ لا يوجدُ فيه اختلافٌ مِن جهةِ المعاني والألفاظِ والإخبارِ عنِ المغيَّباتِ والقصصِ والأحكامِ والأخلاقِ وغيرِ ذلك، ولم يكُنْ فيه تناقضٌ، خُصِّصَ العددُ لأمرين: أحدهما لإيثارِ طريقِ القصدِ في العددِ، والثّاني للإيذانِ بأنَّ هذا العددَ ممّا تختلفُ بهِ المعاني؛ وذلكَ لِدفعِ الافتراءِ، ونفيِ التُّهمَةِ، والاحتجاجِ على أنَّه مِن عندِ اللّه لا مِن عندِهِ، يعني: لو كانَ مُفترًى مِن عندي لَوجدتُم فيهِ اختلافًا كثيرًا[1].

دلالةُ الضّميرِ في: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

لمّا كـانَ الـقـرآنُ وحـيًـا مِـن عـندِ اللهِ اقتضى أنْ لا يكونَ له مِثلٌ ولا نظيرٌ

لمّا عادَ الضّميرُ على الاسمِ الموصولِ في قولِهِ: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ [هود: 12] دلَّ على أنَّ المعنى: فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِ الّذي يُوحَى إليكَ مُفترياتٍ، فأفادَ عودُ الضّميرِ تعظيمَ شأنِ القرآنِ، وتقريرَ وصفِهِ؛ بأنَّهُ وحيٌ مِنَ اللّه إلى رسولِهِ ﷺ، وفيه إيذانٌ بأنَّ كونَهُ وحيًا مِنَ اللّه يقتضي أنْ لا يكونَ لهُ مثلٌ، فيدلُّ على أنَّ الطّلبَ جاءَ على سبيلِ التّعجيزِ والتّبكيتِ.

مناسبةُ إفرادِ الصِّفة في: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

الـتّـوافـقُ في المعاني والألفاظِ في سورِ القرآنِ مُوصِلٌ إلى مرتبةِ الإعجازِ

لمّا كانَ مِن شرطِ النّعتِ مُساواتُهُ المنعوتَ في الإفرادِ والجمعِ كانَ الظّاهرُ أن يقولَ: (بعشرِ سورٍ أمثالِه) لتعدُّدِ الموصوفِ؛ لكنْ جاءَ الوصفُ في قولِهِ: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ مُفردًا مُراعاةً لِمُقتضَى الحالِ؛ للإيذانِ بأنَّ سورَ القرآنِ كلَّها شيءٌ واحدٌ، فلا اختلافَ في معانيها ولا في بلاغتِها؛ ليدُلَّ على اعتبارِ أفرادِ المعدودِ واحدًا واحدًا لا باعتبارِ مجموعِ السّورِ العشرِ، ويحتملُ أن يكونَ المرادُ المفهومَ مِن مجموعِ السّورِ العشرِ؛ أي: أنْ يكونَ المُرادُ هوَ المَجموعَ؛ لأنَّ مَجموعَ السّورِ العَشرَةِ شيءٌ واحِدٌ؛ للإيماءِ إلى أنَّ وجهَ الشّبهِ ومدارَ المماثلةِ في

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/31.

الجميعِ شيءٌ واحدٌ هو التّوافقُ في المعاني والألفاظِ المؤدِّيةِ إلى مرتبةِ الإعجازِ، فكأنّ الجميعَ واحدٌ، أو لأنَّ لفظَ ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ مصدرٌ في الأصلِ، فيُوصَفُ بها المثنى والمجموعُ والمؤنَّثُ، كقولِهِ تعالى: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47]، ويجوزُ المطابقةُ كما في قولِهِ تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَٰلِ﴾ [الواقعة: 22 - 23]، وقولِهِ تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ۝٣٨﴾ [محمد ﷺ: 38][1].

دلالةُ: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

التَّوسُّعُ في التَّحدِّي؛ لتقويةِ الحجّةِ وظهورِ عجزِ الكافرينَ عنِ الإتيانِ بمثلِهِ

أفادَ لفظُ المثلِ أنَّ المرادَ مثلُهُ في نوعِ إعجازِ القرآنِ، لما يدُلُّ عليهِ لفظُ ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ من أنَّ المرادَ وجهٌ من وجوهِ المُماثَلةِ، وهو هنا النّظمُ والبلاغةُ وحسنُ البيانِ المُتآلِفِ مع المعنى؛ أي: وإنْ لم يكُنْ مثلَهُ في سردِ المعاني والأحكامِ؛ لأنَّه لمّا قالَ: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ دلَّ على أنَّ المرادَ مثلُهُ في البلاغةِ، وإنْ كانَ مُفترًى من عندِ أنفسِكُم، وفيه إشعارٌ بأنَّكُم غيرُ مُلزَمينَ بحقائقِ المعاني وصدقِ الأخبارِ؛ ليكونَ أقوى في إثباتِ الحجَّةِ بعدَ التَّوسُّعِ في التّحدِّي[2].

نكتةُ مجيءِ: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾:

مُسايرةُ القائلينَ بالافتراءِ؛ لتمامِ إظهارِ الحُجّةِ عليهم، فيما يَفترونَ

جاءَ اللَّفظُ على مُقتضَى سؤالِهم، وهو كالقولِ بالمُوجِبِ المذكورِ في علمِ البديعِ؛ ليكونَ أظهرَ في إقامةِ الحجّةِ عليهم، فإنَّهُم لمّا زعموا أنَّ القرآنَ مُفترًى خاطَبَهُم على وَجْهِ التَّبْكيتِ لَهُم والمقابَلَةِ لِلَفْظِهِمْ فَقالَ: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾؛ ليُقيمَ عليهم تمامَ الحجَّةِ مِنَ اللّفظِ الّذي وصفوا به القرآنَ، فيكونُ اللّفظُ على معنى المقابلةِ لقولِهِم، لا لِتحقيقِ وصفِ القرآنِ بأنَّه مُفترًى، يعني: إنْ كانَ كما تزعمونَ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/324، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 3/130، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/3395، والسّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/2، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/191، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/38.

(2) عبد القاهر الجرجانيّ، الرّسالة الشّافية ضمن دلائل الإعجاز، ص: 606، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/383، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/155، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/248.

مُفترًى، وأنّي اختلقتُهُ مِن نفسي، ولم يوحَ إليَّ كما قلتُم، فأتوا أنتُم بعشرِ سورٍ مثلِهِ مُفترياتٍ، فأنتُم عربٌ فصحاءُ مثلي لا تعجزونَ عن فَصيحِ الكَلامِ وبَليغِهِ[1].

براعةُ التّعبيرِ بوصفِ: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾:

الإشعارُ بأنَّ وجهَ إعجازِ القرآنِ هو بلاغتُهُ لا باشتمالِهِ على المغيّباتِ وكثرةِ العلوم

في التّعبيرِ بوصفِ ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ إشعارٌ بأنَّ وجهَ إعجازِ القرآنِ هو بلاغتُهُ لا باشتمالِهِ على المغيّباتِ وكثرةِ العلوم؛ لأنَّهُ لو كانَ وَجهُ الإعجازِ هو كَثرةَ العُلومِ أوِ الإخبارَ عَنِ الغُيوبِ أو عَدَمَ التَّناقُضِ لم يَكُنْ لِقولِهِ: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ معنًى، أمّا إذا كانَ وَجهُ الإعجازِ هوَ البلاغةَ صَحَّ ذلِكَ؛ لأنَّ فصاحةَ الفصيحِ تَظهرُ بالكلامِ، سواءٌ كانَ الكلامُ صِدقًا أو كَذِبًا[2].

بلاغةُ التّعريضِ في: ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾:

ما قالَ المُشركونَ بالافتراءِ إلّا لوقوعِهِ منهُم وتعوّدِهِم عليهِ خلالَ معاركِهِم مع الحقِّ

في التَّعبيرِ بلفظِ ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ تعريضٌ بالكافرينَ بأنّ الافتراءَ إنّما يقعُ مِنهُم لِتعوّدِهِم عليهِ، وفيه إشعارٌ بوقوعِ الافتراءِ منهُم لمّا تقوّلُوا على رسولِ اللّه ﷺ، ونسبوهُ إلى الافتراءِ، وتوبيخٌ لَهُم كذلكَ، فإنَّه ما دعاهُم إلى الافتراءِ إلّا لِقدرتِهِم عليهِ.

براعةُ تقديمِ وصفِ ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ على ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾:

براعةُ بلاغةِ القرآنِ في تقديمِ المقصودِ بالتّحدّي في السّياقِ البليغِ

أُخِّرَ وصفُ ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ عن قولِهِ: ﴿مِّثْلِهِۦ﴾؛ لأنَّ المماثلةَ هي الصّفةُ المقصودةُ بالتّكليفِ والتّحدِّي، إذ بها يَظهرُ عجزُهُم وقُعودُهُم عنِ المُعارَضةِ، وأمّا وصفُ الافتراءِ فلا يَتعلَّقُ بهِ غرضٌ يَدورُ عليهِ شيءٌ في مَقامِ التّحدِّي، وإنّما ذُكِرَ على نهجِ المُساهَلَةِ وإرخاءِ العِنانِ، كما أنَّ في التّقديمِ احتراسًا؛ لأنَّه لو عُكِسَ التَّرتيبُ لَرُبَّما تُوُهِّمَ أنَّ المرادَ هو المُماثَلةُ في الافتراءِ، فيكون فيه إثباتُ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/383، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 8/31، والسّبكيّ، عروس الأفراح: 2/278.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 17/325، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 10/39.

الافتراءِ لسورِ القرآنِ[1]، فانظرْ إلى لطيفِ بلاغةِ القرآنِ وحسنِ تأليفِهِ ونظمِهِ.

دلالةُ الواوِ في: ﴿وَٱدۡعُواْ﴾:

أفادتِ الواوُ التَّشريكَ بينَ الجملتينِ على معنى الجمعِ بينَهما؛ لِتكونَ الجملتانِ مِن مَقولِ القولِ؛ لِيفيدَ العطفُ دعوتَهُم إلى آخرِ مَراتبِ التّحدِّي، بأنْ يَقوموا بالأمرِ بأنفسِهِم وفي الوقتِ نفسِهِ لِيدعوا مَن يعينُهُم فيهِ؛ لِيكونَ فعلُ الآخرين تقويةً لفعلِهِم، فالمُرادُ منهُ: تَعليمُ أنَّهُ كيفَ يُمكِنُ الإتيانُ بهذهِ المُعارَضةِ لَو كانوا قادرينَ عليها، وتَقريرُهُ أنَّ الجماعةَ إذا تَعاوَنَت وتَعاضَدَت صارَت تلكَ العُقولُ الكَثيرَةُ كالعَقلِ الواحِدِ، فإذا تَوَجَّهوا نَحوَ شيءٍ واحدٍ، قَدَرَ مَجموعُهُم على ما يَعجَزُ كُلُّ واحِدٍ مِنهُم، فكأنَّ لسانَ البلاغِ يخاطبُ البشريةَ: هَبْ أنَّ عَقلَ الواحدِ والاثنَينِ مِنكم لا يَفي باستِخراجِ مُعارَضةِ القُرآنِ فاجتَمِعوا، ولِيُعِنْ بَعضُكُم بَعضًا في هذهِ المُعارَضةِ، فإذا عَرَفتُم عَجزَكُم حالةَ الاجتماعِ وحالةَ الانفرادِ عَن هذهِ المُعارَضةِ، فحينَئِذٍ يَظهَرُ أنَّ تَعَذُّرَ هذهِ المُعارَضةِ إنَّما كانَ لأنَّ قُدرَةَ البَشرِ غَيرُ وافيَةٍ بها، فَحينَئِذٍ يَظهَرُ أنَّ ذلكَ فِعلُ اللّه لا فِعلُ البشرِ، ويحتملُ أن يكونَ العطفُ على معنى التّرقِّي في التّحدِّي؛ أي: فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِهِ مُفترياتٍ، فإنْ عجزتُم عنِ الإتيانِ بها مِن تلقاءِ أنفسِكُم، فَلَكُم أن تَدعوا مَن يُعينُكُم ممَّن تَتَوَسَّمونَ فيهِ الاستطاعةَ على ذلكَ.

العجزُ عنِ الإتيانِ بعشرِ سورٍ دليلٌ قاطِعٌ على إعجازِ القرآنِ الخالدِ

بلاغةُ التّعريضِ في: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾:

لمّا قالَ اللّه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ [الفرقان: 4]، وكانَ نزولُ سورةِ الفرقانِ قبلَ سورةِ هود جاءَ قولُهُ تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛

الرَّدُّ على دعوى إعانةِ قومٍ آخرينَ لرسولِ اللّهِ ﷺ في الافتراءِ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/191.

للتّعريضِ بما قالَهُ الكافرونَ، وللرَّدِّ عليهِم في دعوى إعانةِ قومٍ آخرينَ لرسولِ اللّه ﷺ.

بلاغةُ الكنايةِ في: ﴿وَٱدۡعُواْ﴾:

عُبِّرَ بـ ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ على طريقِ الكنايةِ أو المجازِ[1]، والكنايةُ أظهرُ؛ لِما يلزمُ مِن دعاءِ قومٍ إلى أمرٍ عظيمٍ أنْ يستعينوا بهِم، ويَستمدّوا منهُم، ويتَّفقوا معهُم في اختلاقِ السّورِ، وعُبِّرَ بـ ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ دونَ (واستعينوا) على طريقِ الكنايةِ؛ لأنَّ الدّعاءَ هنا هو نداءُ كلِّ مَن يستطيعُ إعانتَهُم بمَعنَى طَلَبِ حُضورِهِ؛ لِيكونَ أقوى في المؤازرةِ، وفيه كذلك معنى طلبِ استعطافِه وسؤالِه للإتيانِ بالسّورِ المُفترياتِ، ويشمَلُ الدُّعاءُ نداءَ القريبِ والبعيدِ، كما أنَّه يقتضي الاستجابةَ بالقبولِ أو الانتفاءِ، ولهذا أعقبَهُ بقولِه: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ﴾، فتكونُ الكنايةُ هنا على معنى الجمعِ بينَ اللّازمِ والمَلزومِ، ويحتملُ أن يكونَ التّعبيرُ بـ ﴿وَٱدۡعُواْ﴾ على طريقِ المجازِ المُرسَلِ؛ لأنَّ الاستعانةَ تنشأُ عنِ النّداءِ إلى المُعاونةِ[2].

دعـــاءُ مَـن يـسـتـطـيـعُ المعاونةَ أقوى في المـؤازرةِ، وأظهرُ في الـتّـحـدِّي والمواجهةِ

دلالةُ فعلِ الأمرِ في: ﴿وَٱدۡعُواْ﴾:

الأمرُ هنا للإباحَةِ؛ أي: فَلَكُم أن تَدعوا مَن ترونَ فيهم المَقدِرَةَ على ذلكَ ليُعاونوكُم، وفي مجيءِ الأمرِ بمعنى الإباحةِ، إلهابٌ لعزيمةِ الكافرينَ، وإفحامٌ لَهُم بأنَّهُم عاجزينَ عنِ الإتيانِ بالمَطلوبِ.

إفحامُ الكافرينَ المُتحامِلينَ بعجزِهِم عنِ الإتيانِ بالمطلوبِ

الإيجازُ بحذفِ مُتعلَّقِ الفعلِ ﴿وَٱدۡعُواْ﴾:

لمّا كانَ الدّعاءُ لأمرٍ مُعيَّنٍ، وقد دلَّ عليه المقامُ، حُذِفَ مُتَعَلَّقُ الفعلِ، والتَّقديرُ: وادعُوا لِذَلِكَ[3]؛ أي: للإتيانِ بعشرِ سورٍ مثلِ القرآنِ مُفترياتٍ، فالحذفُ للإيجازِ.

روعةُ البيانِ في إيجازِ التّركيبِ، ودقّةِ المذكورِ والمُقدَّرِ

(1) الخفاجيّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 5/52، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاويّ: 9/466.
(2) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 1/349، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/339، 12/20.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/20.

فائدةُ التّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ: ﴿مَنِ﴾:

تعميمُ الدّعوةِ لكُلِّ عاقلٍ؛ ليظهرَ إعجازُ القرآنِ بيّنًا جليًّا للجميعِ

عُبِّرَ بالاسمِ الموصولِ ﴿مَنِ﴾ دونَ (الّذي) في قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾؛ لأنّه أكثرُ عمومًا وأوفقُ بمَقامِ التّحدِّي بالإتيانِ بعشرِ سورٍ مُفترياتٍ؛ لِدلالتِهِ على العاقلِ في الاستعمالِ الغالبِ، والمعنى: ادعوا كلَّ مَن استطعتُم دعاءَهُ ليعينَكُم مِن دونِ اللّه، فيدخلُ فيه كلُّ عاقلٍ، ومَن يَعرفُ العربيّةَ، ومَن لايَعرفُها بأنْ يعينَهُ بطريقةٍ ما؛ لِيظهرَ إعجازُ القرآنِ للجميعِ.

نكتةُ التّعبيرِ بـ: ﴿ٱسۡتَطَعۡتُم﴾:

عدمُ الاستطاعةِ على خوضِ غمارِ التّحدِّي دليلٌ على العجزِ التّامِّ عن ذلك

عُبِّرَ في الآيةِ بقولِهِ: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾، ولم يقُلْ: (مَن قدرتُم)؛ للفرقِ بينَ الاستطاعةِ والقُدرةِ، فلفظُ الاستطاعةِ يَتضمَّنُ معاني مُناسبةً للسّياقِ لا توجدُ في لفظِ القُدرةِ، فيُشعِرُ التّعبيرُ بـ ﴿ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ بتهيُّئِهِم للإتيانِ بعشرِ سورٍ مُفترياتٍ، بما يَتملكونَهُ مِن سلامةِ آلةِ الفصاحةِ والبلاغةِ، وأنَّ الأمرَ بإرادتِهِم مِن غيرِ عائقٍ أو مَانعٍ يمنعُهُم، كما أشعرَ اللّفظُ بدعوتِهِم إلى الاستعانةِ بمَن يُعينُهُم على الإتيانِ بها، والأخذِ بأسبابِ ما يتوقَّفُ عليه فعلُ الاستعانةِ، وبكلِّ مَن أمكنَهُم دعوتُهُ، ولمّا كانَ العجزُ ضدَّ الاستطاعةِ عُبِّرَ بها؛ للتّنبيهِ على أنَّهُم إنْ لم يَستطيعوا فقد عجزوا، وهو المقصودُ مِنَ الكلامِ[1].

بلاغةُ الحذفِ في: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم﴾:

حـذفُ المفعولِ هنا أقضى لحقِّ البلاغةِ، وأدلُّ على دقّةِ البيانِ

حذفُ مفعولِ ﴿ٱسۡتَطَعۡتُم﴾ للإيجازِ في الكلامِ، ولِتقريرِ معنى العمومِ الواردِ في لفظِ ﴿مَنِ﴾، ولوضوحِ المعنى مِنَ السّياقِ، فالتّقديرُ: (وادعوا مَنِ استطعتُم دعاءَهُ مِن دونِ اللّه)، ولو ذُكِرَ المفعولُ لكانَ الكلامُ غثًّا، وكانَ شيئًا يَمجُّهُ السّمعُ، وتَعافُهُ النّفسُ، بَلْ مِنَ البَلاغَةِ أن يُجاءَ بِهِ كذلك مَحذوفًا[2].

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 108 - 109.

(2) عبد القاهر الجرجانيّ، دلائل الإعجاز، ص: 164.

بلاغةُ الاستعارةِ في: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّـهِ﴾:

لمّا كانَ لفظُ ﴿دُونِ﴾ يُستعمَلُ لأقربِ مكانٍ إلى ما يُضافُ إليهِ استُعملَ على طريقِ المجازِ بمعنى أسفل مَرتبة؛ للإيذانِ بأنَّ المضافَ إليهِ أعلى مَرتبةً، ولمّا كانَتِ الرُّتَبُ كلُّها تحتَ رتبتِهِ تعالى، والنّاسُ مُقرِّونَ بذلكَ قالَ: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: المَلِكِ الأعلى[1]، فإذا كانَ كلُّ ما سوى اللّه تحتَ رتبتِهِ سبحانَهُ دلَّ على أنَّ كتابَ اللّه أعلى رُتبةً مِن جميعِ الكُتُبِ.

كتابُ اللهِ أعلى رتبةً مِن جميعِ الكتبِ، وقد ظهرَ إعجازُهُ في بديعِ نظمِهِ

دلالةُ حرفِ الجرِّ ﴿مِّن﴾:

لمّا كانَ ﴿مِّن﴾ حرفَ ابتداءٍ دلَّ على إدخالِ كُلِّ مَن سوى اللّه تعالى؛ والمعنى: ادعوا مَنِ استطعتُم دعاءَهُ، وليبتدئْ دعاؤُكُم مِن أيِّ عاقلٍ يعينُكُم دونَ اللّه؛ ليفيدَ تحقيقَ معنى الإحاطةِ والعمومِ لكلِّ مَن هو دونَ اللّه[2].

تحقيقُ معنى الإحاطةِ والعمومِ في دعاءِ كلِّ مَن هو دونَ اللهِ للتّحدّي

براعةُ مجيءِ الوصفِ في: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّـهِ﴾:

ذُكِرَ هذا الوَصفُ للتّذكيرِ بأنَّ هذا القرآنَ مِن عندِ اللّه، وأنَّهُم أنكَروا أن يكونَ مِن عندِ اللّه، فلمّا عَمَّمَ لَهُم في الاستعانةِ بِمَنِ استطاعوا، أكَّدَ أنَّ مَن يدعونَهُم دونَ اللّه تعالى في الرّتبةِ والعلمِ والقُدرةِ، فإنْ عَجَزوا عنِ الإتيانِ بعشرِ سورٍ مِثلِهِ - مَعَ تمكُّنِهِم مِنَ الاستعانةِ بكُلِّ مَن عدا اللّه - تبيَّنَ أنَّ هذا القرآنَ مِن عندِ اللّه تعالى[3].

إبرازُ ملامحِ الإعجازِ الّتي تطالُ كلَّ المخلوقاتِ، وتؤكّدُ صدقَ الآياتِ

إيثارُ التّعبيرِ باسمِ الجلالةِ: ﴿ٱللَّـهِ﴾:

أُوثِرَ التّعبيرُ باسمِ الجلالةِ في قولِهِ: ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ دونَ لفظِ (الرّحمن) أو غيرِهِ؛ لأنَّ الاسمَ الجليلَ (اللّه) علمٌ على الذّاتِ العليَّةِ، لا يُسمَّى به غيرُهُ، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا

اسمُ الجلالةِ خاصٌّ بهِ سبحانَهُ، وهو جامعٌ لكلِّ أسمائِهِ وصفاتِهِ الحسنى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/249.
(2) الكرمانيّ، لباب التّفاسير، ص: 780.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/20 - 21.

بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ [مريم: 65]، وهو جامعٌ لكلِّ صفاتِهِ؛ دالٌّ على العظمةِ، وكلِّ معاني الألوهيَّةِ؛ ولذا ذَكَرَ لفظَ الجلالةِ الّذي يُربِّي المهابةَ، وخشيتُهُ سبحانَهُ في النُّفوسِ؛ لأنَّه المعبودُ وحدَهُ.

مناسبةُ التّعبيرِ بأداةِ الشّرطِ ﴿إن﴾:

قولُهُ تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وفيه إيرادُ كلمةِ الشّكِّ الدّالَّةِ هنا على استحالةِ الوقوعِ للإيذانِ بأنَّ صدقَهُم في مَقامِ الاستحالةِ، ومجيءُ الكلامِ بأسلوبِ الشّرطِ إلهابٌ لعَزيمةِ الكافرينَ الطّاعنينَ في القرآنِ؛ ليَأتوا بعشرِ سورٍ مِثلِهِ مُفترياتٍ؛ ليَكونَ عدَمُ إتيانِهِم بمِثلِهِ حُجَّةً على كَذِبِهم.

استحالةُ صدقِ الكافرينَ في قولِهم بالافتراءِ؛ لأنّ الدّلائلَ عكسُ ذلكَ

دلالةُ حذفِ المُتعلَّقِ في: ﴿صَٰدِقِينَ﴾:

المُرادُ إنْ كُنتُم صادقينَ في ادِّعاءِ كَونِهِ مُفتَرًى، أو إنْ كنتُم صَادقينَ في ادّعاءِ أنّي افتريتُهُ، وجاءَ هذا التّقديرُ لِقولِهِ بدايةَ الآيةِ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾، ونكتةُ حذفِ المُتعلَّقِ هي إنكارُ اتّصافِهِم بصفةِ الصّدقِ على وجهِ المبالغةِ؛ للإشعارِ بأنَّ مَن يُكذِّبُ رسولَ اللّه ﷺ فقد انتفى عنهُ وصفُ الصّدقِ، ويدخلُ فيهِ كذبُهُم في الادّعاءِ المذكورِ دخولًا أوّليًّا، وعُلِّقَ الإتيانُ على كونِهِم صادقينَ في ادّعائِهِم؛ لأنَّ ذلك يَستلزِمُ إمكانَ الإتيانِ بمثلِهِ، وهو أيضا يَستلزِمُ قدرتَهُم عليه، فلمّا لم يأتوا بعشرِ سورٍ مثلِهِ دلَّ على كذبِهِم وعجزِهِم، ففيه توبيخٌ لهم وتبكيتٌ.

مَنْ يُكذِّبُ الرّسولَ الأمينَ والقرآنَ المبينَ، فليسَ مِنَ الصّادقينَ

سرُّ حذفِ جوابِ الشّرطِ:

لمّا كانَ جوابُ الشَّرطِ محذوفًا، وقد دلَّ عليه المذكورُ قبلُ[1]، كانَ التّقديرُ: إنْ كنتُم صادِقينَ فأتوا بعشرِ سورٍ مثلِهِ مُفترياتٍ، وادعوا مَنِ

تأكيدُ عجزِ الكافرينَ عنِ الإتيانِ بعشرِ سورٍ مُفترياتٍ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 6/223.

استطعتُم مِن دونِ اللّه، فالكلامُ بمثابةِ المكرَّرِ لتأكيدِ عجزِهم عنِ الإتيانِ بعشرِ سورٍ مثلِه، ووجهُ الملازَمةِ بينَ الشَّرطِ وجَزائِه؛ أنَّه إذا كانَ الافتراءُ يأتي بهذا القرآنِ؛ فما لَكُم لا تَفترونَ أنتُم مِثلَهُ، فَتَنهَضَ حُجَّتُكُم[1].

توجيهُ المُتشابِهِ اللّفظيِّ:

التَّدرُّجُ في التَّحدِّي على سبيلِ التَّهكُّمِ بهم، مُتنزِّلًا معهم إلى الأخفِّ فالأخفّ

قالَ اللّه تعالى في سورةِ هود: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وقالَ في سورةِ البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة: 23]، وقالَ في سورةِ يونس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [يونس: 38]، وتوجيهُ هذه الآياتِ هو أنَّه في سورةِ هود لمّا قالوا: ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قابلَ قولَهُم بـ ﴿مُفْتَرَيَٰتٍ﴾، فلمّا وسَّعَ عليهم بأن سمحَ لَهُم بأنْ يأتوا بالكلامِ المُفترَى ناسبَهُ التّوسعةُ في العددِ المطلوبِ، فقالَ: ﴿بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ﴾؛ لأنَّ الكلامَ المُفترَى أسهلُ، فناسبَتهُ التّوسعةُ، فهذه غايةُ التّوسعةِ، وليسَ المعنى: عَارِضوا عشرَ سوَرٍ بعشرٍ، أمّا الواردُ في سورةِ البقرةِ وفي سورةِ يونس فلم يذكُرْ لَهُم فيها أنْ يكونَ مُفترًى، بل السّابقُ مِنَ الآيتينِ المماثَلةُ مُطلَقًا، فذلك أصعبُ وأشقُّ عليهم معَ عجزِهم في كلِّ حالٍ، فوَقَعَ الطّلبُ حيث التَّضييقُ بسورةٍ واحدةٍ، وحيثُ التَّوسعةُ بعشرِ سورٍ، ففيه مُناسبةٌ جليلةٌ واضحةٌ، ويؤيّدُ هذا النَّظرَ أنَّ التَّكليفَ في آيةِ البقرة إنَّما هو بسببِ الرَّيبِ؛ لقولِه تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: 23]، ولا يُزيلُ الرَّيبَ إلّا العلمُ بأنَّهُم لا يَقدِرونَ على المُماثَلةِ التّامَّةِ، وفي آيةِ سورةِ هود إنَّما التَّكليفُ بسببِ قولِهم ﴿ٱفْتَرَىٰهُ﴾، فَكُلِّفوا نحوَ ما قالُوا[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/192، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/21.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/155، والغرناطيّ، ملاك التّأويل: 1/27.

توجيهُ الفرقِ بيَن ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾، و﴿مِّثْلِهِۦ﴾:

أقصى ما يتنزّلُ إليهِ معَهُم مِنَ التّحدّي، هو طلبُ شيءٍ ممّا يماثِلُ على سبيلِ التّقريبِ

"تنزَّلَ معَهم في هذه المرتبةِ مِن طلبِ المُماثِلِ إلى طلبِ شيءٍ ممَّا يماثلُ، كأنَّه يقولُ: لا أكلّفُكُم بالمماثلةِ العامَّةِ، بل حسبُكُم أن تأتوا بشيءٍ فيه جنسُ المماثلةِ ومُطلقُها، وبما يكونُ مثلًا على التّقريبِ لا على التّحديدِ، وهذا أقصى ما يمكنُ مِنَ التَّنزُّلِ؛ ولذا كانَ هو آخرَ صيغِ التَّحدِّي نزولًا، فلم يجئِ التّحدِّي بلفظِ ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: 23] إلّا في سورةِ البقرةِ المدنيَّةِ، وسائرِ المَراتبِ بلفظِ ﴿مِّثْلِهِۦ﴾ [يونس: 38] في السّورِ الّتي نزلَت قبلَ ذلكَ بمكّةَ"[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الافتراءُ والكذبُ والبهتانُ:

الافتراءُ أخصُّ مِنَ الكذبِ؛ لأنَّ الكذبَ في حقِّ الآخَرِ بما لا يرتضيه، بخلافِ الكذبِ، فإنَّه قد يكونُ في حقِّ المُتكلّمِ نفسِه، ولذا يُقالُ لِمَن قالَ: (فعلتُ كذا، ولَم أفعلْ كذا) مع عدمِ صدقِهِ في ذلك: هو كاذبٌ، ولا يُقالُ: هو مُفترٍ، وكذا مَن مَدحَ أحدًا بما ليسَ فيهِ، يُقالُ: إنَّه كاذبٌ في وصفِهِ، ولا يُقالُ: هو مُفترٍ؛ لأنَّ في ذلكَ ممّا يرتضيهِ المَقولُ فيه غالبًا، ولا يُستعمَلُ الافتراءُ إلّا فيما بَهَتَ به المرءُ وكابرَ، وجاءَ بأمرٍ عظيمٍ منكَرٍ، فالافتراءُ أعظمُ مِنَ الكذبِ، ومِنَ الفروقِ بينَهُما أنَّ مُتَعَلَّقَ الافتراءِ القولُ، ومُتَعَلَّقَ الكذبِ الفعلُ، فمَن قالَ: (قالَ زيدٌ كذا)، ولم يكُنْ قالَهُ فهو افتراءٌ، وإنْ قالَ: (قامَ زيدٌ)، ولم يقُمْ فهو كَذِبٌ، وأيضًا قد يحسنُ الكذبُ على بعضِ الوجوهِ، كالكذبِ في الحربِ، وإصلاحِ ذاتِ البينِ، بخلافِ الافتراءِ، فهو مذمومٌ دائمًا، والفرقُ بينَ الافتراءِ والبهتانِ أنَّ البهتانَ يكونُ بِحَضرَةِ المَقولِ فيهِ؛ أي: يُواجَهُ به صاحبُهُ على وجهِ المُكابرةِ بخلافِ الافتراءِ فإنَّه يكونُ بغيبتِهِ[2].

الافتراءُ أخصُّ؛ فهو القولُ في حقِّ الآخرِ بما لا يرتضيه

(1) دراز، النّبأ العظيم: هامش (1)، ص: 84.

(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/155، والبسيليّ، نكت وتنبيهات: 2/227، والكفويّ، الكلّيّات، ص: 450.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»